الحوار

يوست هيلترمان
الشرق الأوسط في عالمٍ من الحسابات الخاطئة

أجرى الحوار: محمد العربي ومحمد محمود السيد

التقــت "اتجاهــات الأحــداث" بالدكتور يوســت هيلترمــان، مديــر برنامج الشرق الأوســط وشــمال إفريقيــا في "مجموعــة الأزمــات الدولية"، ببروكســل، في مطلع هذا العــام. وأجرت حــواراً معــه حول أهــم التحولات الأمنية التــي تجــري في الشرق الأوســط على وقع الحرب الدائــرة في قطــاع غزة منــذ 7 أكتوبر 2023. تحــدث هيلترمان عن اســتمرار مركزية القضية الفلســطينية بالنســبة لسياســات المنطقة، وحدود الحســابات الخاطئة واحتمالات التصعيد بين القــوى المختلفــة، ومــا قد يــؤدي إليه تقــارب القــوى الإقليميــة الرئيســية، وكذلك عن طــرق "مجموعــة الأزمــات الدوليــة" في التعامــل مــع القضايــا المعقــدة التــي تهيمن على الشرق الأوســط منــذ عقود.

لقد غطت الصراعات الجارية والمتداخلة في المنطقة في العقدين الأخيرين، خاصة الحروب الأهلية في سوريا والعراق واليمن وليبيا، والآليات الجيوسياسية الصراعية بين القوى الإقليمية الشرق أوسطية على الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. ومع اندلاع الحرب في غزة، تصدر الصراع المشهد من جديد. برأيك، هل سيعود لمسألة فلسطين الدور نفسه الذي كانت تؤديه باعتبارها "القضية المركزية" للعالم العربي والشرق الأوسط في فترات سابقة؟

قد أُعرف المسألة تعريفاً مختلفاً قليلاً أو لربما أضعها في إطار مختلف قليلاً. في رأيي، لطالما كان الصراع بين إسرائيل وفلسطين محوريّاً بالنسبة إلى الصراعات في الشرق الأوسط. بالطبع هناك صراعات بمختلف الأنواع، وتحركها دوافع مختلفة مرتبطة في الغالب بقضايا لها علاقة بالدين أيضاً أو بدور إيران في المنطقة. لكن الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين هو الأقدم في الشرق الأوسط الحديث؛ أي أنه نشب بعد نهاية الحرب العالمية الأولى مباشرة وانهيار الإمبراطورية العثمانية. ولطالما كان موجوداً، وتفشى في المنطقة حتى أثر في الدول المجاورة بالطبع، بداية من 1948 وحتى الآن. واليوم نراه يمتد إلى منطقة البحر الأحمر وربما مناطق أخرى. لذا، تظل تتردد أصداء هذا الصراع بينما يحتدم في أراضيه الأصلية في إسرائيل وفلسطين، ولا يمكن أن يكون محوريّاً أكثر مما هو الآن.

صحيح أنه في أعقاب الانتفاضات الشهيرة في 2011، وتفكك العديد من الدول العربية، اندلعت حروب أهلية جراء صراعات أخرى، وطغت على الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. ولكن يمكنني القول إن ذلك كان تحولاً مؤقتاً، ولم يسلب القضية الفلسطينية مركزيتها قياساً ببقية القضايا الجارية. ومحورية هذه القضية لا تعود لكونها الصراع الأقدم في المنطقة فحسب، بل لأنه صراع دائم بين إسرائيل وجيرانها.

بعد الحرب العالمية الأولى كانت هناك تطلعات لبناء دولة عربية تنبثق من حطام الإمبراطورية العثمانية. ولم تتحقق تلك التطلعات. ونشأت دول عربية عديدة وليس دولة واحدة، ونشأت القومية العربية التي تستهدف بوضوح توحيد العرب. لقد رأى كثيرون في العالم العربي قيام دولة إسرائيل حينها كمحاولة غربية لتقسيم العالم العربي، والسيطرة عليه بالطبع والاستيلاء على موارده. وهذا موجود حتى اليوم. أي أن الكثيرين يرون أن وجود إسرائيل دليل ملموس على هذا الجهد الذي يبذله الغرب ليظل العالم العربي منقسماً. هذا الجهد ما زال قائماً ومستمراً ولن ينتهي إلا بالتوصل لحل للصراع الإسرائيلي الفلسطيني ثم الصراع الإسرائيلي العربي.

أحد أهم العناصر المحورية في هذه القضية هي قضية "القدس". وهي قضية تتجاوز أهميتها الإسرائيليين والفلسطينيين لتشمل العالمين العربي والإسلامي. يتجاوز هذا الصراع أية صراعات أخرى نراها في الجنوب العالمي. في رأيي، سيظل محوريّاً حتى التوصل لحل له. ولا نعرف بالطبع إمكانية ذلك في الوقت الحالي.

بمجرد اندلاع العمليات العدائية في فلسطين، أصبح من المعتاد القول إن المنطقة على شفا "حرب شاملة"، وهو ما لم يتحقق حتى الآن؛ إذ أصبحت إيران وحلفاؤها، بالأخص حزب الله وغيره في سوريا والعراق، غير معنية إلا بـ"التصعيد المحسوب"، ولا تريد معظم القوى الإقليمية أن يصل الأمر إلى صراع موسع. ما الحسابات الخاطئة التي قد ينتج عنها "أسوأ السيناريوهات" في حرب غزة؟

لا أتوقع حدوث تصعيد شامل في هذه المرحلة من الصراع. وإن كان من المؤكد صعوبة التنبؤ بمسار التصعيد؛ وقد يبدأ الأمر بحدث غير متوقع. على سبيل المثال، لم يؤد مقتل قاسم سليماني في 2021 إلى تصعيد كبير. لوهلة، بدا الأمر وكأنه سيؤدي إلى تصعيد. وقد وقعت بالطبع بعض الهجمات الانتقامية المتبادلة بين إيران والولايات المتحدة، ولكن في نهاية المطاف لم يحدث تصعيد. كذلك لم يؤد مقتل قائد الحرس الثوري الإيراني في سوريا "في الأسبوع الأخير من ديسمبر" إلى تصعيد حتى الآن.

لكن في الواقع، الحسابات الخاطئة هي التي قد تؤدي إلى تصعيد؛ فلنقل إن هناك جانبين هنا وهما إسرائيل ومحور المقاومة، ولكل منهما خطوطه الحمراء التي إن تجاوزها الجانب الآخر، سيحدث تصعيد. لكننا شهدنا عدم إفصاح الجانبين عن خطوطهما الحمراء؛ لأنهما بذلك سيمهدان الطريق لتجاوزها؛ حيث ينبغي أن تظل مبهمة في الصراع عموماً. لذا ما شهدناه هو أن تلك الخطوط الحمراء مطاطة ومرنة جداً، وأنها تغيرت. ومن المهم جداً في رأيي أن تظل تلك الخطوط الحمراء سرية. ولم يعد ما كنا نراه خطّاً أحمر في 7 أكتوبر أو 6 أكتوبر خطّاً أحمر اليوم. إلا أن الصراع تم احتواؤه.

بعبارة أخرى، تمكن الجانبان من تحمل أكثر بكثير مما ظننا في البداية أو في 6 أكتوبر. ولربما إن وقعت مثل تلك الاغتيالات في 6 أكتوبر، لحدث تصعيد فوري. لكن التصعيد حدث بعد تراكمات جاوزت الخطوط الحمراء أكثر فأكثر. لذلك أظن أن كلا الجانبين غير مستعدان فعلاً لخوض حرب شاملة في هذه المرحلة. لذا يجب أن تصبح الخطوط الحمراء مرنة. لكن من الممكن تجاوز الخط الأحمر؛ لأن العدو قد يقوم بعمل شنيع، أو فظيع للغاية، أو مذل، أو مهين جداً لمكانتك في مجتمعك؛ فتضطر للرد. لكن السؤال هنا كيف يكون الرد؟ وهل يستهدف ذلك الرد خط عدوك الأحمر أو يتتبعه؟ أو قد يدفع الخط الأحمر قليلاً لدرجة يتحملها الجانب الآخر؟ وهل سيكون ذلك شيئاً يوجب الرد من الجانب الآخر بقوة أكبر؟ هذه أيضاً لعبة خطرة قد تنفلت فيها الأمور في أية لحظة. لكنها لم تحدث حتى الآن بعد مرور نحو 3 أشهر من الحرب. وهذا في حد ذاته يسترعي الانتباه.

لربما يقع محور إيران وحلفائها تحت ضغط خطابه الذي يرتكز على دعم المقاومة ومناهضة الغرب وإسرائيل، وهو ما قد يدفعهم إلى حسابات خاطئة أو تصعيد غير محسوب. هل تظن أن هؤلاء سيسعون إلى الحفاظ على المصداقية التي يحتاجونها؟

الطرف الأساسي الأكثر تماساً مع الصراع هو حزب الله. ولا أعتقد أنه يريد فعلاً التصعيد أكثر من حد معين. كما أن لحسن نصر الله قدراً من الشرعية كقائد في حزب الله حتى ينجح في هذه الاستراتيجية. لا أظن أن موقفه ضعيفاً بالدرجة التي تجعل رده على إسرائيل عنيفاً للحفاظ على وضعه. قد أكون مخطئاً، لكن طالما يحظى بالدعم الكامل، يمكنه قيادة أتباع الحزب إلى أي خيار يذهب إليه. ولا أظن أن نصر الله سيدعم حماس بالأخص بأي شكل من الأشكال، وجزء من السبب أنه لا أظن أنهم رحبوا بهجمة حماس على إسرائيل في 7 أكتوبر. ربما ساعدوا في تدريب حماس على القيام بمثل تلك الهجمة، إلا أنني أظن أن توقيت الهجوم كان قراراً داخليّاً في حماس، وبالأخص حماس في غزة. وربما شارك صالح العاروري الذي اغتيل في 2 يناير في اتخاذ القرار. ولكن من الواضح أنه لم يكن قراراً منسقاً، حتى الاستخبارات الإسرائيلية تتفق مع هذا الطرح.

الحوار

قد يقول حزب الله لحماس: "لقد جنيتم ثمار أفعالكم؛ لأننا يجب أن نضع في اعتبارنا موقفنا تجاه إسرائيل، ونتفهم أنكم لا تريدون أن تبدوا ضعفاء. في الوقت نفسه، نود أن نختار بأنفسنا التوقيت الذي نواجه فيه إسرائيل. نحن من سيقرر ما إذا كانت ستتم المواجهة ومتى. ولن ننقاد وراءكم".

في مقالك المنشور في مجلة "فورين أفيرز"، في 22 نوفمبر 2023، والمعنون بـ "لا مهرب من غزة" (No Exit from Gaza)، تحدثت عن فخ تقع فيه إسرائيل في غزة؛ حيث لا تعرف ما الذي سيكون عليه اليوم التالي للحرب، ولا كيف ستدار الأمور بعيداً عن العمليات العسكرية. في رأيك، ما جذور هذه الحسابات الخاطئة لإسرائيل في التعامل مع غزة والفلسطينيين؟

أتذكر بوضوح حديث رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو في الأمم المتحدة في سبتمبر العام الماضي 2023؛ إذ تحدث عن كيف سيقيم شرقاً أوسط جديداً وتحالفاً جديداً مع بعض دول الخليج العربي والهند وغيرها، خاصة مع كونها منافساً وقوة موازنة لمبادرة "الحزام والطريق" التي أطلقتها الصين.

تمنى نتنياهو أن يعمل هذا التحالف وذلك الشرق الأوسط الجديد على التخلص من القضية الفلسطينية تماماً. إلا أن هجوم حماس قلب الموازين. وفي حقيقة الأمر، لم تتنبأ إسرائيل بهجوم حماس لأنها رأت أنه شيء غير متوقع على الإطلاق.

كانت إسرائيل ترى أن حماس ضعيفة وتحت السيطرة ومكبوحة الجماح، لا تستطيع القيام بمثل تلك الهجمات، حتى وإن كانت تطمح لذلك. وهي تعلم أن حماس تطمح لذلك. وتعلم أنها كان لديها مخططات. ظهر كل ذلك منذ 7 أكتوبر. لقد كانت إسرائيل على دراية بخطط حماس لذلك الهجوم، لكنها تجاهلتها لمزيج من التهاون والغطرسة. وهذا المزيج مدمر بالطبع؛ أن تظن أن عدوك غير قادر على تنفيذ شيء يطمح إليه.

مع استمرار الحرب، اتضح الموقف الضعيف للولايات المتحدة؛ حيث سارعت إلى دعم إسرائيل عسكريّاً ودبلوماسيّاً، مخاطرة بتأثيرها في المنطقة الذي كان يتهاوى بالفعل. هل ترى أي أمل في أن تعيد الدول الغربية النظر في سياساتها تجاه منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، أو أن تحاول استعادة الثقة لدى الأجيال العربية الجديدة التي يتملكها الغضب؟

من الواضح أن مكانة الدول الغربية في العالمين العربي والإسلامي، وحتى الجنوب العالمي، قد تضررت كثيراً بسبب المعايير المزدوجة المطبقة منذ 7 أكتوبر فيما يخص الاعتداء الإسرائيلي على غزة. فلنأخذ في الاعتبار أن العالم الغربي ما زال مهيمناً اقتصاديّاً، ولم تحل الصين محله بعد. لست متأكداً إن كانت ستحل محله أم لا ومتى سيحدث ذلك. لكن العالم الغربي ما زال قادراً للغاية على تبوء تلك المكانة من جديد بشكل من الأشكال. ولن يستطيع التخلص من سياسة المعايير المزدوجة في التعامل مع العرب والمسلمين، ولكنه قد يتكيف مع الواقع الجديد من أجل الاستحواذ على القوة الاقتصادية.

©Shutterstock

إن اتخـذ العالـم الغربـي خطـوة جـادة، على سـبيل المثـال، تجـاه إقامـة الـسلام بين إسرائيـل وفلسـطين، سـيتمكن أيضـاً مـن اسـتعادة جـزء مـن شرعيتـه أو مكانتـه التـي خسرهـا في العالم العربـي أو تحـسين تصوره عنـه. إذن، يعتمد الأمر على ما سـتقوم بـه القوى الغربيـة. وإن كان من الصعـب الجـزم بأنهـا خسرت مكانتها إلى الأبد؛ فمـا زال لدى الغرب قـدر كبير من النفـوذ والقدرة على إعـادة الأمـور إلى نصابهـا الصحيـح إلى حـد ما، لكننـي بصراحة لسـت متفـائلاً كثيراً.

لـم يـؤد التقـارب في العلاقـات بين القـوى الإقليميـة، كمـا شـهدنا قبل حرب غـزة بين إيـران والسـعودية، وتركيـا وغيرهـا مـن الـدول العربيـة، إلى حـل الصراعـات الإقليميـة المشـتعلة منـذ عقـود، على الرغـم من الافتراض الأسـاسي أن معظـم هذه الصراعـات كانت "حـروب صـغيرة بالوكالـة" بين القـوى الإقليميـة. حسـب تقديرك، هـل هناك أيـة فرصة أن تقـوم المنطقة بمبـادرات مسـتقرة وأعمق لمعالجة السـبب الجذري لانعدام الاسـتقرار؟

لـم أكـن مفرطاً في تفـاؤلي تجاه مسـتقبل حالـة التقـارب بين القوى الإقليميـة على مدار السـنوات. مـع ذلـك، أرى أن التقـارب في العلاقـات بين السـعودية وإيـران في مـارس 2023 كان لـه دور مهم بالفعـل في منـع حـدوث انقسـام أكبر بكـثير بعـد 7 أكتوبـر وما تلاهـا؛ حتـى إن الرئيـس إبراهيم رئـيسي قـد زار السـعودية بعد 7 أكتوبر، وشـارك في مؤتمر القمـة العربية الإسلاميـة رغم اختلاف خطـاب إيـران عـن خطـاب الدول المشـاركة الأخـرى. لكـن وجـوده هنـاك كان مهمّاً. وهـذا يعني وجـود قنـاة اتصال مفتوحـة بين الجانـبين تسـاعد على التخفيف من حـدة الضغوط بـكل أنواعها.

من ناحية أخرى، هذا التقارب في بدايته، ويحدث على مستوى نخبة المنطقة التي لم تبدأ في حل المشكلات الحقيقية في المنطقة والتي تكمن جذورها في "عدم كفاءة بعض أنظمة الحكم"، كما أوضحت في مقال سابق في "فورين أفايرز". إن أردتَ دولاً قوية في الإقليم، فأنت بحاجة لحكومات فعالة.

نشهد العديد من مناورات القوى الإقليمية، خاصة دول مجلس التعاون الخليجي، في علاقاتها مع القوى الدولية في أعقاب حرب أوكرانيا؛ إذ انضم بعضها مؤخراً إلى مجموعة "البريكس"، وتسعى فعلياً إلى تنويع تحالفاتها مع القوى غير الغربية وعلى رأسها الصين وروسيا. كيف ترى ذلك؟ ولأي مدى يمكننا أن نتخيل شرقاً أوسط ذا حد أدنى من النفوذ الأجنبي؟

أتخيل أن دول الخليج العربي بالأخص، التي تتواصل مع إسرائيل والصين وروسيا، تفعل ذلك من أجل خلق نفوذ في مواجهة حليفها الرئيسي وهو الولايات المتحدة؛ لأنها باتت تشعر أن واشنطن لم تعد تقوم بدورها. على سبيل المثال، في سبتمبر 2019، لم تفعل الولايات المتحدة الكثير أو بالأحرى لم تفعل شيئاً من وجهة نظر السعودية عندما هجمت إيران على منشآت "أرامكو" في جدة والرياض. لذلك، تريد هذه القوى التواصل مع أطراف أخرى.

©Marcus Yom, Getty.

أما روسيا ليس لها دور كبير في الشرق الأوسط في العموم، ولكن في سوريا فقط. لذا، التواصل مع روسيا غير مجدٍ. وتُعد الصين بالطبع القوة الصاعدة، لكنها ليست مستعدة حتى الآن كي تحل محل الغرب في الشرق الأوسط. لذلك، أدركت الدول الصديقة للولايات المتحدة في نهاية المطاف أنها ستظل معتمدة كليّاً على قوتها العسكرية. أما إذا شرعوا بخسارة هذه القوة، فإنهم يحاولون التأثير والضغط عليها في محاولة لإقناع الولايات المتحدة بعدم التخلي عن حلفائها في المنطقة.

بخصوص الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر والضربات الموجعة التي وقعت في الشرق الأوسط للنفوذ الأمريكي في المنطقة، ماذا لو عاد الجمهوريون إلى السلطة مرة أخرى في البيت الأبيض؟ كيف سيتعاملون مع القضية الفلسطينية والشرق الأوسط؟ وإن ظل الديمقراطيون في الحكم، هل هناك احتمال أن يتغير نهجهم أو تتغير سياستهم في التعامل مع المنطقة؟

لقد شهدنا ظاهرتين في العقدين أو الثلاثة عقود الماضية فيما يخص السياسة الأمريكية في المنطقة؛ أولهما أنها تتغير مع كل رئيس يتولى الحكم، ولكنه ليس بالتغيير الكبير؛ وثانيهما وجود توجه عام في تراجع المنطقة من على قائمة أولويات واشنطن والتركيز بشكل أكبر على الصين، والاتجاه إلى الاكتفاء الذاتي باحتياطيات النفط والغاز من خلال التصديع المائي وغيره؛ مثلما تفعل شركة "شل" للنفط. لذلك، أرى أن هذا التوجه مستمر ومتزايد نوعاً ما مع الانسحاب من العالم، أي أن هناك نزعة انعزالية بدأت مع الرئيس الديمقراطي أوباما، واستمرت بالطبع مع ترامب، وبايدن لم يغير هذا النهج.

لذا، هذا التوجه العام موجود، لكن لكل رئيس نهجه. على سبيل المثال، إن عاد ترامب لا يمكن التنبؤ بما يفعله. إلا أن كبار مستشاريه كانوا أكثر قابلية للتنبؤ بهم. بالطبع كانوا ينتهجون نهجاً مختلفاً مع أوباما. ولكن على الأقل كانوا يخبرونك بأفكارهم سلفاً، بكيف كانوا يرون المصالح الأمريكية وماذا سيفعلون. لكن ترامب كان عفويّاً؛ فيتخذ القرارات المختلفة بين لحظة وأخرى، وأحياناً كان مساعدوه يخوضون المعركة للتراجع عن تلك القرارات. لذا، إن تولى الحكم مجدداً، سيصعب التكهن بالنتائج. وهذا ليس بسبب فكره، بل بسبب تقلباته وعدم إمكانية التنبؤ بما سيفعل.

لكن سواءً أكان الرئيس جمهورياً أم ديمقراطياً، لن يختلف النهج الخاص بالشرق الأوسط والقضية الفلسطينية. وأظن أن الجمهوريين لم تأت من بينهم حكومة أمريكية صديقة للفلسطينيين. ولطالما دعمت الولايات المتحدة إسرائيل في كل شيء تقريباً، وربما أبطأت من وتيرة التأثير المستمر لضم الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وشرقي القدس، لكنها لم توقفها بأي شكل من الأشكال. لذلك، لا أظن أن هذا سيتغير بغض النظر عن هوية الرئيس القادم.

لقد كنت مراقباً عن كثب لتطورات منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وصراعاتها ووضعها على مر العقود. هل يمكن القول إن المنطقة "متقلبة ولا يمكن التنبؤ بها" كما يشيع دائماً؟ أم أننا نقع ضحايا التحيزات تجاه المنطقة وشعوبها؟ وكيف تتعامل "مجموعة الأزمات الدولية" مع التعقيدات التي تكتنف قضايا الإقليم؟

لا يمكن التنبؤ بالمستقبل كما تعلم، والشرق الأوسط بالطبع ليس استثناءً؛ فهو مثل أي منطقة أخرى في العالم. كل شيء معقد حتى نبدأ بدراسته. وأحياناً بعد الانتهاء من دراسته، قد تجده أكثر تعقيداً مما تظن. ولكن بغض النظر، لا يمكنك التنبؤ بالأشياء بدقة طوال الوقت أو معظمه؛ لأن هناك الكثير من العوامل التي لا يمكن التكهن بها، والكثير من الأحداث التي تؤثر أيضاً فيما يحدث؛ بحيث لا تستطيع أخذها كلها في الاعتبار.

بالطبع هناك أمثلة كثيرة؛ كانتفاضات 2011 أو هجوم حماس في 7 أكتوبر أو أي عدد من الأحداث العالمية الكبرى. لذا، ما نفعله في "مجموعة الأزمات الدولية" لا يأتي في شكل تنبؤات؛ لأننا نعلم أننا لسنا بارعين في ذلك. في الواقع لا أحد يبرع في التوقع. لقد وجدت بحوثاً في العلوم الاجتماعية تحاول التنبؤ بالانتفاضات وغيرها من الأحداث، دون أن تحاول اتباع أية منهجية. لذلك، ما نفعله هو تقديم تحليلات دقيقة وغير متحيزة قدر الإمكان للصراعات؛ فإذا وقع حدث؛ مثل هجوم حماس في 7 أكتوبر الذي لم نتوقعه، نصبح مستعدين لتحليل ما تفكر فيه الأطراف الفاعلة المتعددة للرد ولما وصلنا إلى تلك المرحلة.

يمكنني القول إنني لم أتوقع ما فعلته حماس، ولكن بالنظر إلى الوراء أتفهم الأشياء والعوامل التي أدت إلى ما حدث. أحدها أن حماس نفسها كان تحت ضغط هائل من شعب غزة الذي تحكمه. لقد خرجت احتجاجات شعبية في الشوارع تهتف ضد حماس لافتقارها إلى الحكم السليم. فكان يجب أن تفعل شيئاً. كان بإمكانها الاستسلام والرحيل، ولكن هذا بالطبع ليس من شيم حماس، لأنها في نهاية المطاف حركة "مقاومة للاحتلال"، هكذا تصف نفسها. وكان عليها أن تطبق ما تنشره عن نفسها باعتبارها "جماعة مقاومة"، وهو ما قامت به. من خلال التحليلات التي ننشرها، نأمل في إبراز دوافع جميع الأطراف الفاعلة بأسلوب محايد، وبالتحدث إلى جميع الأطراف، يمكننا المساعدة على توضيح جميع المشكلات والتوصل لحل تفاوضي وسلمي، وبالطبع حل للصراع بين إسرائيل وفلسطين، الذي يمثل تحدّياً خاصّاً.

أنت على دراية بشعوب المنطقة، وتتحدث العربية ولك باع طويل بقضايا وشؤون المنطقة، كما أنك بصدد إصدار رواية عن الشعب الكردي ونضاله. كيف يمكننا تضمين حساسيات وتصورات واهتمامات الشعب والمواطن العادي في رسم مستقبل المنطقة في التحليل السياسي؛ خاصة أنهم أكثر الأطراف تضرراً من صراعات المنطقة، وأهم مواردها في الوقت نفسه.

يمكنك القول إن كثيراً من الصراعات التي نشهدها قد تفاقمت بسبب عدم فهم الآخر أو العدو أو حتى الحلفاء ودوافعهم. لذلك، ترتكب القوى المنخرطة، على سبيل المثال، أخطاء كثيرة في السياسات لأنها لا تعي حقّاً ما الذي تتعامل معه على الأرض. هناك نقص في المعرفة. وتعاني أجهزة الاستخبارات إشكالية كبيرة؛ لأنها تتعامل مع الناس بطريقة معينة، وتتمتع بامتيازات توفير المعلومات لحكوماتها، وعليها إثبات حيازتها لمعلومات معينة لرؤسائهم. إن ظاهرة "غرفة الصدى" منتشرة في كل مكان، وهي موجودة أيضاً في أجهزة الاستخبارات. وتؤدي إلى سوء تقدير جسيم، مما يؤدي إلى تفاقم الصراعات. لذلك، نحن بحاجة إلى معلومات أفضل من أرض الواقع.

تؤمن "مجموعة الأزمات الدولية" بأهمية الحوار مع الناس العاديين إلى جانب النخبة. نحن لا نجري استطلاعات رأي، لكننا ندرس بالطبع نتائج بعض استطلاعات الرأي التي نراها

©Shutterstock

موثوقة من حيث منهجيتها والظروف التي أجريت فيها. هناك كثير من استطلاعات الرأي التي لم تُجر في الظروف الصحيحة بالمنهجية المناسبة. ولكن على أية حال، هناك طرق للحكم على ذلك. ونرى أنه من المهم للغاية الانغماس في مجتمعات الدول المأزومة التي ندرسها ونجري أبحاثنا فيها؛ لأنه من السهل للغاية تحديد القيادة التي نريدها. يمكننا التحدث إلى القيادة. وفي كثير من الحالات، ندير حواراً جيداً معها.

من المهم جدّاً فهم الصورة كاملة وتكوين صورة شاملة لكيفية إدارة مجتمعات الدول المأزومة. قد يسهم ذلك في منع الصراعات. ولكن في رأيي ليس هذا ما يحدث في العموم. لذلك، نحن نسهم في ذلك مساهمة ضئيلة، وينبغي فعل المزيد في هذا الصدد والإحاطة بالصورة فهماً أفضل. وأرى أن الناس في المنطقة الذين يعكسون أفكاراً ثقافية وسياسية، وجميع الجوانب التي تجعل للمجتمع دور في العالم الخارجي، لهم دور مهم من حيث منع الصراعات.

❊ **ترجمة:** دينا عبدالمنصف